المحاضرة الخامسة في النحو

الجملة المركّبة

إذا كانت الجملة البسيطة تمتاز بمجيء المسند والمسند إليه فيها مفردين، فإنّ الجملة المركّبة تقتضي مجيء المسند فيها مركّبا، لأنّ المسند مخبر به، ولك أن تخبر بمفرد، أو بجملة، والجملة تركيب. أمّا المسند إليه، فكونه مخبرا عنه يقتضي أنّه شيء موجود، والأصل في الأشياء أن تدلّ عليها الأسماء، لذلك كان المسند إليه في الجملتين الاسمية والفعلية اسما، ولو عُبِّرَ عنه بتركيب، فإنّ هذا التركيب يحمل دلالة الاسم، أو هو بمنزلة الاسم ويكافئه في الوظيفة النحوية، كالمصدر المؤوّل مثلا، فهو تركيب ولكنّه بمعنى المفرد، ومثاله في الجملة الاسمية قوله تعالى:(وأن تصوموا خير لكم)،[1] المسند إليه المخبر عنه هو: (أن تصوموا)، وهو تركيب لغوي يتكوّن من (أن) المصدرية، و جملة (تصوموا). ولكنّه يؤوّل بمفرد، وهو (صيامكم).و نقول في إعراب الجملة: المصدر المؤوّل في محلّ رفع مبتدأ، وخير: خبر. ومثاله في الجملة الفعلية قولك: (يسرّني أن تنجح). فالمصدر المؤوّل من الحرف المصدري (أن) و جملة (تنجح) في محلّ رفع فاعل للفعل (يسرّ)، والتقدير: (يسرّني نجاحُك).

وقد يأتي المسند إليه جملة لا تؤوّل بمفرد، ولكنّها أُجريت مجرى المفرد، وأُنزلت منزلته لأنّها وقعت مخبرًا عنه مثل: (لا إلاه إلاّ الله كلمة التوحيد)، فالمبتدأ المخبر عنه، الذي أُسند إليه الخبر هو جملة (لا إلاه إلاّ الله)، والخبر المسند إلى المبتدأ هو لفظ (كلمة) المضافة إلى لفظ (التوحيد). ويسمّي النحاة هذا النوع من الجمل بالجمل المحكية.

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: (الحمد لله تملأ الميزان)، فجملة (الحمد لله) وقعت في محل رفع مبتدأ، لأنّها مخبر عنه، ومسند إليه، و جملة (تملأ الميزان) وقعت في محل رفع خبر، لأنّها مسند مخبر به.

وقبل التطرّق إلى أنماط الجملة المركبة، نشير إلى أنّ المفرد الذي يمكن تعويضه بتركيب هو الاسم فقط، أمّا الفعل فلا يمكن تعويضه بتركيب. ويعوض الاسم بتركيب إذا كان مسندا فقط. أمّا إذا كان مسندا إليه فالأصل فيه أنّه ثابت الاسمية والإفراد، في الجملتين الاسمية والفعلة.

[1] سورة البقرة ، من الآية184.

ينتهي بنا هذا الكلام إلى أنّ الجملة التي تتفرّع إلى بسيطة ومركبة هي الجملة الاسميّة فقط، لأنّها هي الوحيدة التي تشتمل على ما يقبل التعويض بتركيب، وهو المسند الاسم.

الجملة المركّبة امتداد للجملة الاسميّة البسيطة: لقد ذكرنا آنفا أنّ العنصر الإسنادي الذي يجري عليه التعويض بمفرد هو المسند الاسم فقط، وهذا العنصر لا نجده إلاّ في الجملة الاسميّة، وهذا ما يفسّر تنوّع الجملة الاسميّة إلى بسيطة ومركّبة، وعدم تنوع الفعلية إلى ذلك. والتركيب الذي يعوّض المسند الاسم هو التركيب الاسنادي، فإذا عوّضنا المسند في الجملة الاسميّة بتركيب اسنادي تحصّلتا على جملة اسميّة متعددة الاسناد، لاشتمالها على عنصرين من المسند، وآخرين من المسند إليه. تقول في الجملة الاسميّة البسيطة الأحادية الاسناد: (زيد مريض). فإذا عوّضت المسند بجملة قلت على سبيل المثال: (زيد أبوه مريض)، إذا أردت التعويض بجملة اسميّة، أو قلت : (زيد يشكو من المرض)، إذا أردت التعويض بجملة فعلية. وفي المثالين تحصّلت على عنصرين من المسند، وعنصرين من المسند إليه. في الأولى أسندت خبرين إلى مبتدأين، وفي الثانية أسندت خبرا وفعلا إلى مبتدأ وفاعل. ومن هنا يمكننا تحديد الجملة الاسميّة المركّبة بقولنا: هي تركيب إسنادي متعدد الإسناد. والبسيطة بأنّها الأحادية الإسناد.

ومن بديع التركيب في العربية أنّ المسند الاسم الذي يقبل التعويض بتركيب يتأخّر في الرّتبة، أي يأتي في جهة اليسار، فالزيادة إذا وُجدت تكون على اليسار، وهذا ما يوافق الخط العربي الذي يتّجه من اليمن إلى اليسار. أمّا المسند إليه فكونه لا يأتي إلاّ اسما سواء في الجملة الاسميّة أو الفعلية، جعل صفة الإفراد تلازمه، وهذا ما جعله لا يقبل التعويض بتركيب. لذا يمكن القول أنّ الجملة الاسميّة تبدأ بما هو ثابت الإفراد، ولا يقبل التعويض بتركيب، وتنتهي بما يقبل التعويض بتركيب. ويمكن التعبير عن هذا المفهوم بلغة الرياضيين فنقول: إنّ الجملة الاسميّة مجالها على جهة اليمين مغلوق، وعلى جهة اليسار مفتوح.

أمّا الجملة الفعلية فتتكوّن من عنصرين صفة الإفراد فيهما ثابتة، فلا يقبلان التعويض بتركيب، أي أنّ مجالها مغلوق على الجهتين اليمنى واليسرى. وهذا ما منع وجود صفة التركيب في الجملة الفعلية. لذا تحدّث النحاة عن الجملة الاسميّة المركّبة، ولم يتحدّثوا عن الفعلية المركّبة.

أنماط الجملة المركبة:

نستنتج ممّا سبق أنّ الجملة المركبة هي جملة اسميّة تعدّد فيها الإسناد، لأنّ المسند فيها جملة. فهي تركيب إسنادي أُسندت فيه جملة إلى مفرد، فالتغيير حادث في هذا النمط التركيبي في ركن المسند، لذا وجب التركيز على المسند لمعرفة أنماط الجملة المركّبة. والجملة الواقعة مسندا تتنوّع باعتبار النوع إلى اسميّة وفعليّة، وباعتبار الحجم والشكل إلى بسيطة ومركّبة. وسنتناول كلّ نوع على حدة.

أوّلا: الجملة المركّبة باعتبار نوع المسند: أي باعتبار نوع الجملة الواقعة خبرا، وهي نوعان.

1 ـ الجملة التي خبرها جملة فعليّة: (مسند إليه اسم)+(جملة فعلية)

هي تركيب إسنادي يتكوّن من مبتدأٍ مفرد، وخبر جملة فعليّة. فهي متعدّدة الإسناد، لحدوث الإسناد فيها مرّتين، وبالتالي اشتمالها على عنصرين من المسند إليه، هما المبتدأ والفاعل، وعنصرين من المسند هما الخبر والفعل. ومثال ذلك قولك: (اللهُ يهدي من يشاء). الفعل المضارع يهدي أسند إلى الفاعل المستتر فيه، والجملة الفعليّة (يهدي من يشاء) في محل رفع خبر أُسند إلى المبتدأِ لفظ الجلالة.

نلاحظ على هذا التركيب أنّه يتكوّن من ثلاثة عناصر إسناديّة لا تقبل التعويض بمفرد، لأنّ صفة الإفراد فيها ثابتة، وقد ذكرنا آنفا أنّ العنصر الإسنادي الذي يمكن تعويضه بمفرد هو المسند الاسم فقط، ويدخل في بناء الجملة الاسميّة البسيطة فقط. وما دام هذا النوع من التراكيب يتكوّن من عناصر ثابتة الإفراد، لا تقبل التعويض بتركيب، فهو مغلوق من الجهتين، البداية والنهاية، اليمين واليسار. مغلوق من جهة اليسار أو البداية لأنّ الجملة العربيّة مهما كان نوعها تبدأ بما لا يقبل التعرض بتركيب، الفعليّة تبدأ بمسند فعل، والاسمية تبدأ بمسند إليه اسم، وكلاهما لا يعوّض بتركيب. أمّا من جهة اليمين أو النهاية فهو مغلوق أيضا لأنّه مختوم بمسند إليه اسم، وهو كذلك ثابت الإفراد في الأصل ولا يقبل التعويض بتركيب. يوصف هذا التركيب بأنّه تركيب اسمي إسنادي ثنائي الإسناد، لأنّ الإسناد حدث فيه مرّتين. وتمتاز الجملة الفعليّة الواقعة خبرا باشتمالها على فعل ماض أو مضارع فقط، ولا يكون أمرا لأنّه لا يخبر بالأمر. مثال المضارعيّة قوله تعالى: (الله يتوفّى الأنفس في منامها). ومثال الماضيّة قوله تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم...).

2 ـ الجملة التي خبرها جملة اسميّة: (مسند إليه اسم)+(مسند إليه اسم)+(مسند اسم). هي تركيب إسنادي يتكوّن من مبتدأٍ مفرد، وخبر جملة اسميّة، فهي تركيب إسنادي متعدّد الإسناد، يوصف بأنّه ثنائي الإسناد، يتكوّن من مبتدأين وخبرين. المبتدأين مفردين، أمّا الخبرين فأحدهما مفرد، والآخر جملة. ومثال ذلك قولك: (زيد أبوه مريض). زيد: مبتدأ أوّل خبره جملة (أبوه مريض)، وأبوه: مبتدأ ثان خبره (مريض).

نلاحظ أنّ هذا التركيب يتكوّن من ثلاثة عناصر تركيبيّة، كلّها اسميّة. هي كالتالي: مسند إليه اسم أوّل، متبوع باسم ثان مسند إليه ، ومختوم بمسند اسم، كما هو مبيّن في الجدول التالي:

عناصر الجملة	زيد	أبوه	مريض
نوع العنصر الإسنادي(الكلمة)	اسم	اسم	اسم
عناصر التركيب الإسنادي	مسند إليه 1	مسند إليه 2	مسند 2
		مسند 1	
المحلّ الإعرابي	مبتدأ أوّل	مبتدأ ثان	حبر المبتدأ الثاني
		خبر المبتدأ الأوّل	

وكون هذا التركيب مختوم بمسند اسم وهو ما يمكن تعويضه بتركيب جعل مجاله على جهة اليسار مفتوح، فلو عوّضنا المسند الاسم بتركيب إسنادي، أي جملة فقلنا على سبيل المثال: زيد أبوه غلامه مريض. لتحصّلنا على تركيب إسنادي ثلاثي الإسناد، يتكوّن من مبتدأ أوّل وثان وثالث، وخبر أوّل وثان وثالث.

ما يشترط جملة الخبر: يشترط في جملة الخبر أن تشتمل على رابط يربطها بالمبتدأ، والرابط أربعة أنواع:

1 ـ إعادة المبتدأ بلفظه: كما في قوله تعالى: القارعة ما القارعة (القارعة 1). القارعة: مبتدأ، ما: اسم استفهام مبني على السكون، في محل رفع خبر مقدّم وجوبا لأنّه من أسماء الصدارة. القارعة الثانية: مبتدأ ثان. والجملة من المبتدأ الثاني وخبره المقدّم في محل رفع خبر للمبتدأ الأوّل.

وقد شاع إعراب (ما) مبتدأ و(القارعة) خبر، وهو في رأينا خطأ لسببين. الأوّل: أنّ المبتدأ في الجملة الإخباريّة مخبر عنه، والخبر مخبر به. وفي الجملة الاستخباريّة ـ وهي الاستفهاميّة ـ المبتدأ مستخبر عنه، والخبر مستخبر به. والمستخبر عنه هنا هو القارعة، والمستخبر به هو اسم الاستفهام (ما)، فلا يصحّ أن يكون لفظ (ما) مستخبر به وهو مبتدأ، ولفظ (القارعة) مستخبر عنه وهو خبر.

السبب الثاني صناعي تفرضه صناعة النحو وقواعد العربيّة. وهو أنّ (ما) نكرة لأنّها اسم استفهام، واسماء الاستفهام نكرات لأنّها من الأسماء المبهمة التي ليس لها ما يزيل إبهامها، كالأسماء الموصولة التي يزال إبهامها بالصلة، وأسماء الشرط التي يزال إبهامها بفعل الشرط، و(القارعة) معرفة. ولا يكون المبتدأ نكرة، والخبر معرفة، بل يكون العكس.

2 ـ الضمير: يأتي العائد ضميرا منفصلا كما في قوله تعالى: (والله هو الغنيّ الحميد). وقد يأتي ضميرا متّصلا كما في قوله تعالى: (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة).

3 ـ اسم الإشارة: مثال العائد الذي يأتي اسم إشارة قوله تعالى: (ولباس التقوى ذلك خير)

4 ـ أن تشتمل على لفظ يدل على عموم يندرج تحته المبتدأ كقولك: زيد نعم الرجل. فزيد مبتدأ خبره الجملة الفعليّة (نعم الرجل)، المكوّنة من الفعل الجامد (نعم)، وفاعله لفظ (الرجل) الذي يدل على عموم هو جنس الرجال، يندرج تحته المبتدأ (زيد).

5 ـ أو أن تتضمّن خبرا عاما يستنتج منه الخبر الخاص بالمبتدأ كما في قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ) الأعراف 170. اسم الموصول الذين مبتدأ، وجملة (يمسّكون بالكتاب) صلة، وجملة (أقاموا الصلاة) معطوفة على جملة الصلة. وجملة (إنّا لا نضيع أجر المصلحين) تضمّنت حكما عاما يندرج تحته الحكم الخاص بالمبتدأ. تقديره: (إنّا لا نضيع أجرهم).

وقد تكون الجملة الاسميّة الواقعة خبرا مكوّنة من مبتدأ وخبر شبه جملة، ظرف أو جارّ ومجرور كقولك: (الكتاب فوق المكتب، أو على المكتب). والخبر في الحقيقة ليس شبه الجملة بل متعلّقه المحذوف، ويقدّر هنا بموجود.

تعدّد الإسناد في الجملة المركّبة:

يبدأ التعدّد من العدد اثنين (2)، وأبسط جملة مركّبة هي جملة ثنائيّة الإسناد، لاشتمالها على عنصرين من المسند، وعنصرين من المسند إليه، كما هو الحال في النمطين السابقين، أي الجملة التي خبرها جملة فعليّة، والجملة التي خبرها جملة اسميّة.

وقد تكون الجملة المركّبة ثلاثيّة الإسناد، يتكرّر فيها الإسناد ثلاث مرّات، فتتضمّن ثلاثة عناصر من المسند، وثلاثة من المسند إليه، فيأتي المسند إليه في الحالات الثلاث اسما مفردا، لأنّ صفتي الاسميّة والإفراد ثابتتين في المسند إليه، كما سبق وأن ذكرنا. أمّا المسند فيأتي مرّة مفردا، ومرّة جملة بسيطة، ومرّة جملة مركّبة، كقولك: زيد أبوه أمّه مريضة.

فزيد مبتدأ أوّل، وأبوه مبتدأ ثان، وأمّه مبتدأ ثالث. ومريضة خبر المبتدأ الثالث، والجملة البسيطة (أمّه مريضة) خبر للمبتدأ الثاني، والجملة المركّبة (أبوه أمّه مريضة)، خبر للمبتدأ الأوّل. كما هو مبيّن في الجدول التالي:

الأسماء ←	زيد	أبوه	أمّه	مريضة
الجمل	مبتدأ أوّل	مبتدأ ثان	مبتدأ ثالث	خبر المبتدأ الثالث
الجملة الأولى ←			جملة بسيطة (خبر المبتدأ الثاني) ←	
الجملة الثانية ←		جملة مركّبة وهي(خبر المبتدأ الأوّل) ←		
الجملة الثالثة ←	الجملة الأم: و هي جملة مركبة خبرها جملة مركّبة ←			

والسؤال الجدير بالطرح: ما حدّ تعدّد الإسناد؟ وهل يتعدّد الإسناد أربع أو خمس مرّات أو أكثر؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول: من الناحية النظرية لا حدّ لتعدّد الإسناد. لأنه يمكن بناء جملة رباعية الإسناد، مثل: (زيد أبوه غلامه أمّه مرضة)، وممكن خماسية وهكذا. ولكن في الواقع الكلامي أو الاستعمال اللغوي، حدّ تعدّد الإسناد ثلاثة، لأنّنا لو استقرأنا القرآن الكريم باعتباره أفصح كلام عربي، وقمنا

بإحصاء الجمل الاسمية، الأحادية والثنائية والثلاثية الإسناد، لوجدنا أنّ عدد كل نوع يتناسب عكسيا مع تعدد الإسناد، أي أنّ أكثر الجمل أحادية الإسناد، وأقلّ منها عددا الثنائية، وقليلة جدا الثلاثية الإسناد. والسر في ذلك أنّ التعدّد في الإسناد يجعل التركيب معقّدا، ويؤثّر ذلك سلبا على وضوح المعنى، والعربية لغة إبانة وإفصاح، لذا تجد العربي يميل في كلامه إلى الوضوح، ويبتعد عن الغموض.